ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Dr.Falih Abdullah SHalahi
University: Wasit University
College: College of Basic Education
Email: fshlahi@uowasit.edu.iq

Keywords:
Contact, communication, tawheed, ascending, descending, thesis

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	9 May 2022
Accepted	2 Jun 2022
Available online	1 July 2022

Contact and Communication in the Formation of Harmonious Circle, Surat Al-Tawheed as a Model

A B S T R U C T

This study, seeks to elicit the depths of the contact-communication mechanisms and their acted-out movement, then, reveals what they are loaded (namely, contributed) which raised by each concept, and then exposes argumentative problems in their presence, thus, it violates their functions.

Throughout this study, there is a movement, indicating its continual (viz., direct) form, from the one to the multiple, which creates the descending form, representing the contact basis. Whilst, from the multiple ones to the one, which makes the ascending form, reflecting communicational root.

Strictly speaking, this study is based on the communicative dimension, because it represents the prognostic and the solution from the authority of the exclusionary mind, and the supremacy of the multilateral mind via a mutual shared, which is the fusion of ideas with each other, to establish an optimal human society

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

الإتصال والتواصل في تشكيل دائرة المؤتلف سورة التوحيد أنموذجاً

ا. م . د فالح عبدالله شلاهي /جامعة واسط/ كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

الخلاصة:

تسعى هذه الدراسة، بالغوص. في سبر أغوار تقنيتي الاتصال والتواصل وحركة اشتغالهما ، بعد ان تكشف ماهية الحمولات التي يرفعها كل مفهوم ، والوقوف على الإشكاليات التي يتمُ فيها حضورهما ، وتشظي دورهما.

من هنا تتلمس الدراسة ،وجود حركة تشير بشكلها الطردي ، من الواحد إلى المتعدد وهو يخطُ الشكل النازل وهو أس الاتصال ، ومن المتعدد إلى الواحد وهو يخط الشكل الصاعد، وهو أس التواصل.

وتتكأ هذه الدراسة على البعد التواصلي ، لانه يمثل المآل والمخرج من سلطة العقل الأقصائي ، وسيادة العقل الجمعي من خلال مشترك تقاسمي ، وهو إنصهار الأفكار بعضها مع البعض لبناء مجتمع إنساني أمثل.

الكلمات المفتاحية: الاتصال- التواصل - التوحيد- الصاعد - النازل- الأطروحة

تتغيا العتبة العنوانية من خلال رفعها متوالية الحزمة الإصطلاحية منح القارئ بعض المفاتيح ليلج في هذا المجال المعرفي المتشابك ، فيتعين عليه معرفة القضايا القابعة وحضورها المتداول ، وفض الاشتباك الحاصل .

وعند الوقوف على ظاهرة الإتصال نجد أن العناية بها قد لمعت في وقت متقدم ، ويعود ذلك لارتباطها بتأسيس الأطر الفكرية والإجتماعية للفرد ، كون الموجود البشري كائنا اجتماعيا بطبعه ، وهي الفطرة التي فطر الله عليها هذا الموجود ، من أجل تحقيق ذاته وكينونته وسط المجتمعات المختلفة ، قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ...)) (الحجرات : 13)

وهناك من يرى أن العناية بالإتصال له جذور سحيقة تمتد إلى عصور متقدمة ، ومن الأوائل الذين وضعوا أس نظرية الإتصال ؛ اليوناني (كوراكس Corax) ، ثم طورها تلميذه (تيزياس Tisias) وهي رؤية سفسطائية بامتياز ، وهبتها المناخات الديمقراطية ، وانبنت مرافعتهما القضائية التي تعد أسلوبا صانعاً للإقناع . (ينظر : ديليو ، 1998 : 24)

ويرى أفلاطون من خلال تعريفه لبلاغة الحدث، وموقفه منها ، ان هذه البلاغه موضوعها الاحتمال ، والايهام وتنشد التاثير على الاخر بخلاف ذلك غايته بلاغه الحق (بسيكاغوجيا) (ينظر : بارت ، 2011م : 28) .

ويعد أرسطو أحد المساهمين في تقعيد آلية الإتصال من خلال تعريفه فن الخطابة هو القدرة على النظر ، ومعرفة كل ما يوصل إلى الإقناع في أي قضية من القضايا . (ينظر : أرسطو ، 1959م : 7 - 9)

وفي الحاضنة العربية يتوهج المصطلحان ، إذ جاء في لسان العرب أن أصلهما من : ((وصل : وصلتُ الشيءَ وصلاً ، وصِلَةً ، والوصلُ ضد الهجران ... والوصل خلاف الفصل ... وفي التنزيل العزيز : ولقد وصَّلْنا لهم القولَ ، أي وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى ، بعضها ببعض ، لعلهم يعتبرون . واتصل الشيء بالشيء : لم ينقطع ... والوصل ضد الهجران ، والتواصل ضد التصارم)) (ابن منظور ، 2005 م : مادة وصل) ومن هنا نضع كل مصطلح في مسار اشتغاله ، والدلالات المحملة به دون سواه .

ومن خلال تعريف (سوونسكي Sowinski) للإتصال نجده عبارة عن ((نقل معلومات بين الأفراد نقلاً مقيدا بقناة محددة)) (العبد ، 2007م : 31) من جراء هذا الترقين نلمح بروز قضايا عدة شاخصة أمام العيان منها (المعلومات ـ الافراد ـ القناة) وقبيل الولوج في ثيمتي الأطروحة التي يراد لها أن تمرَّر ، أو القناة التي تؤمنْ هذا الإتصال ، لابد من معرفة الحيثيات الحافة ب (ألباث ـ المتلقي) قطبي الاتصال وطبيعة تحقق هذا الإتصال بينهما ، وهل هما ينصهران في منظومة وجودية متماهية ؟ وهل ينتميان الى مصادر ومراجع ثقافية متشابهة ؟ .

إذا كان الأمر كذلك لامشكل في لقائهما باستثناء مراعاة الظروف الحافة بينهما ، أما إذا كان الأمر خلاف ذلك ينتج أمراً ملتبساً لابد من كشفه وتبديد الضبابية التي تكتنفه .

إذ نلحظ من خلال ما رقن من قبل (سوونسكي) إحالتنا إلى فكر متقدم ، نشأ عن طريق التراكم المعرفي التتابعي الذي مرر عبر الزمن ، وهو بلا شك ـ ونكاد نجزم ـ عدم تجاوزيته كما يحصل في بعض العلوم التي تقوم على التجاوز .

وعند مراجعتنا للإتصال الأول أي نزول الوحي على النبي الأعظم (صلى الله عليه واله) وهو الشطر الموازي والمشترك مع أسس مفهومية أخرى تقوم عليها الدراسة.

إذ نقف منذ البدء على ماهيات مفارقةٍ ومغايرةٍ ، وذلك بسبب رجوع كلا الملتقيين إلى إنتماءات وجودية مباعدة ، الملك جبريل "عليه السلام" وانتمائه إلى الوجود الملائكي السماوي ، والذي يقع على عاتقه مهمة الإتصال ، والذي وصف في المتن القرآني بأنه القوة المرتبطة بعوالم مغايرة (ينظر : الطباطبائي ، 1997م : 20 : 240) قال تعالى : ((ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ)) (التكوير : 20) والنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وإنتمائه إلى الوجود البشري قال تعالى :((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ..)) (فصِّلت : 6) على الرغم من وجود تهريبات أولية تسبق اللقاء ممكن أن تصبح معبراً لهذا اللقاء أو الأتصال لكثافة الحمولات التي تحملها ، فضلا عن المركزية التي تحتلها في الثقافة المتجذرة متمثلة بالوجود المتكرر للرؤية الصادقة في النوم ((فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ...)) (المنذري ، 1389هـ : 24 ، وينظر : ابن هشام ، 2004م : 1 : 226) من حيث التحقق والحدوث ، ولاشك أن في هذه

المقدمات والتي تحولت إلى وقائع ، تعد امتداداً في نقل محتوى المعلومة وآلية من آليات الإتصال ، التي تقف على بعد استرجاعي من حيث العلقة والإمتداد الجذري في عهدين سابقين للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وكما هو موضح في رؤيتي إبراهيم ويوسف عليهما السلام . (ينظر : الصافات : 102 ، ويوسف : 4)

مع كل هذا لم يولي مشركو مكة والجزيرة عناية كبيرة لهذهِ الأطروحة المفارقة ، ولم يتكئوا على إشكالية اللقاء (الملائكي ـ البشري) وعدم توحيدهما في مرتبة وجودية واحدة (ينظر : أبو زيد ، 2011م : 33) وذلك بسبب ما تختزنه الثقافة العربية من تصورات كانت سائدة تمتد لمساحات زمنية بعيدة سمحت لتمرير هذهِ الأطروحة من جانب ، وهي ارتباط الجن بالشاعر وإلهامه ، وكيف قُعّد لهذه الإشكالية حتى أصبحت مسلَّمة من مسلمات تلك الثقافة ، نتج عنها التسليم وتحقيق الإقتناع الداخلي حول آلية الإتصال لأن خلاف ذلك يدين أس الإعتراض الذي قد يلمح لدى المعاندين بسبب ما يبرزه الواقع المعاش يقول الأعشى الكبير : (ديوانه ، د . ت :221)

وما كُنتُ شاعِراً ولكن حسبتني إذا مسْحَلٌ سَدَى لي القول أنطقُ
شريكان فيما بيننا مـــــن هوادة صفيان جنـــيٌ ، وإنسٌ موفّــقُ
يقول فـــــــلا أعيا لشيء أقوله كـــفاني لاعـيٌ ولا هو أخرقُ

يفهم من ذلك تسليمهم بقناعة الإتصال ، وبخلافه يعد حجة عليهم من جانب أو لم يعوا فكرة الإيمان الجديد جملةً وتفصيلاً من جانب آخر .

ولا أريد أن أزيد في علقة هذا الإتصال من خلال انصهار الملائكي بالبشري أو العكس والإيمان به ، لأنها رُقُّنت في متون كتب سابقة (ينظر : الزركشي ، 1977م : 1 : 229 ، وابن خلدون ، د . ت : 99).

من هنا ينشأ لنا تصور بأن ثمة طرق متعددة لهذا الإتصال ، أما أن يكون مباشراً بشكله العامودي من الذات الإلهية إلى الموحى إليه ، أو أن يكون بواسطة على شكله الأفقي كما حدث مع النبي الأعظم (صلى الله عليه آله) ، أو من وراء حجاب كما حدث مع موسى (عليه السلام) وهذه الألوان الإتصالية صُورت في المتن القرآني قال تعالى ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْمِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْيُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ...)) (الشورى : 51 - 52)

الشكل المخطط يمثل الية الاتصال

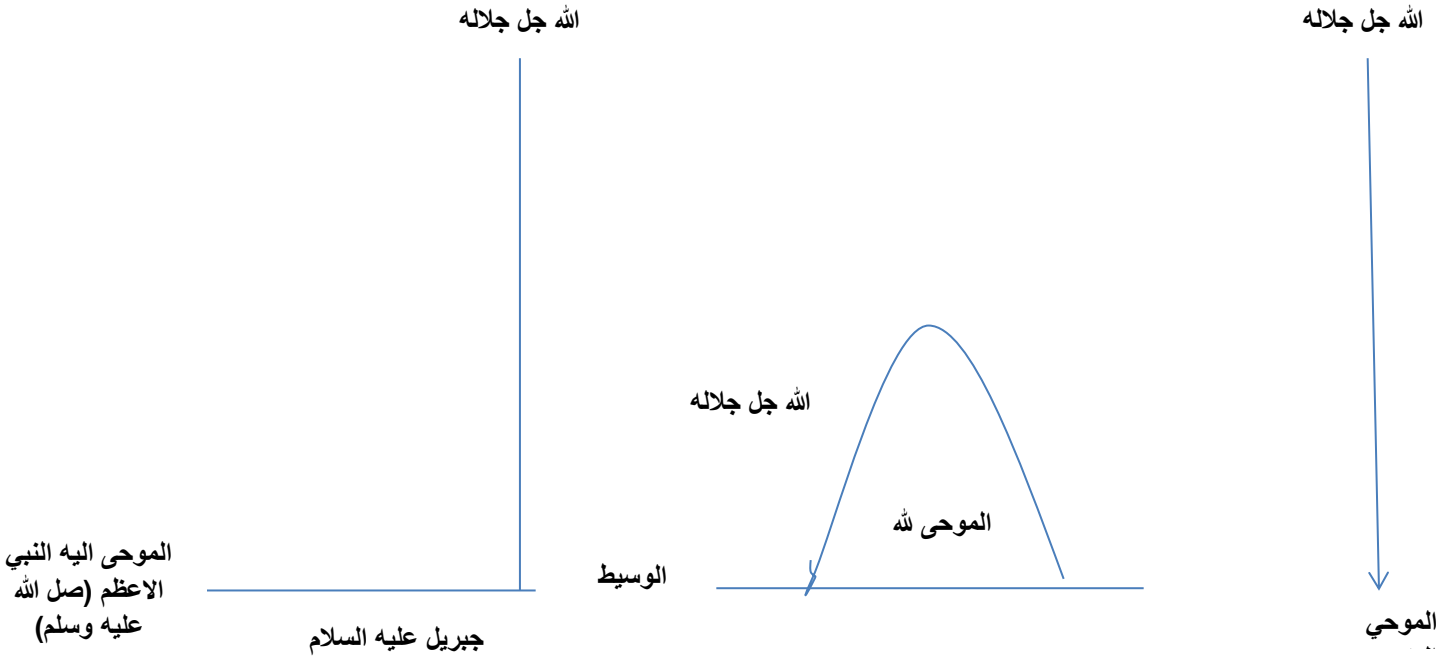

من هنا نصل إلى نتيجة مفادها أن آلية الاتصال هي حركة تمثل سلطة عليا تتنزل إلى ما هو أدنى منها ويأخذ هذا الشكل لوناً من ألوان الانصهار والاندماج وهو يمثل البؤرة المركزية للمتن القرآني ، كما هو واضح في العلاقة بين المرسل الله(جل جلاله) والمرسل إليه من أصحاب الرسالات عليهم السلام ، وقد لا يتحقق ذلك عند النقلة لهذه السلطة من العالم السماوي إلى الواقع المعاش ـ أي العالم البشري ـ جراء التعارض لهذه السلطة ، يكون ثمة تضاد في الطروحات المحمولة لكلتيهما ، سواء كانت عليا أم سفلى ، ومن خلال هذا التضاد والتقاطع نصل إلى نتيجة مفادها توقف الاتصال بينهما .

وهذا ما يظهر جلياً في العلاقات الاتصالية الثنائية والمتعددة المتضادة نحو علاقة الدولة برعاياها من خلال تمرير بعض التشريعات المفارقة ، والتي تكون أمام إجابات نهائية تتسم بالقبول والرفض ، أو نحو العلاقة الإتصالية السلطوية بين مدير الدائرة وموظفيه ، والتي تقوم على فرض أطروحة بعينها يشوبها الفساد ، لذلك يسعى جيل من الموظفين إلى معارضتها وتقويضها .

لذا يغمرنا اعتقاد بأن هناك خلط وضبابية يحفان المصطلح في الإستعمال على أن مصطلح الإتصال هو بعينه مصطلح التواصل ، ويحملان الحمولات الدلالية والمعرفية نفسها ، وهذا ما يرفضه الإجراء والتطبيق على النصوص وحركتها لابد من الفصل بينهما ، والبحث عن وجود آليات واستراتيجيات جديدة تكون أقرب لهذا التحول ، وتسعى بطريقة وأخرى لردم الهوة لذلك لابد من استدعاء مصطلح التواصل بديلاً عن مصطلح الإتصال ، وهو الغاية المنشودة لهذه الدراسة ، ويمثل بؤرة الإشتغال المركزية ، من خلال إشارة (يفيس وينكن Yves winkin) على أن كلمة تواصل ظهرت في فرنسا منذ النصف الثاني من الرابع عشر الميلادي للدلالة على المشاركة ، ومن ثم تطور إلى تبادل المعلومات والأفكار ، حتى يبلغ الحوار قمته ، (علوي ، 2021م : 17 - 18) وهو يمثل المهمة التي تقع على عاتق البشر ، وجوهره الحوار القائم على الإقناع المتسلح بالأدلة والحجج الدامغة والكاشفة ، وتحقيق الرغبة منها في حركة طردية لتعرج من العالم الأرضي إلى العالم السماوي ، بغية الوصول إلى التحقق المنشود الذي يسعى إليه الفعل التواصلي، لتلتقي من جديد المصاديق في بناء هرمي متين وجديد يلجُ في تصاعدية تعانقية مع الفعل الإتصالي الأول ، ولا سيما في النص التوحيدي الذي يمثل عينة البحث ويشكل مكانة كبيرة يقاسم بها الموضوعي والكمي والتعبدي ، وقيل إن أعدلها ((أن ما في القرآن من معارف تنحل إلى الأصول الثلاثة : التوحيد والنبوة والمعاد))(الطباطبائي ، 1997م : 20 : 452)

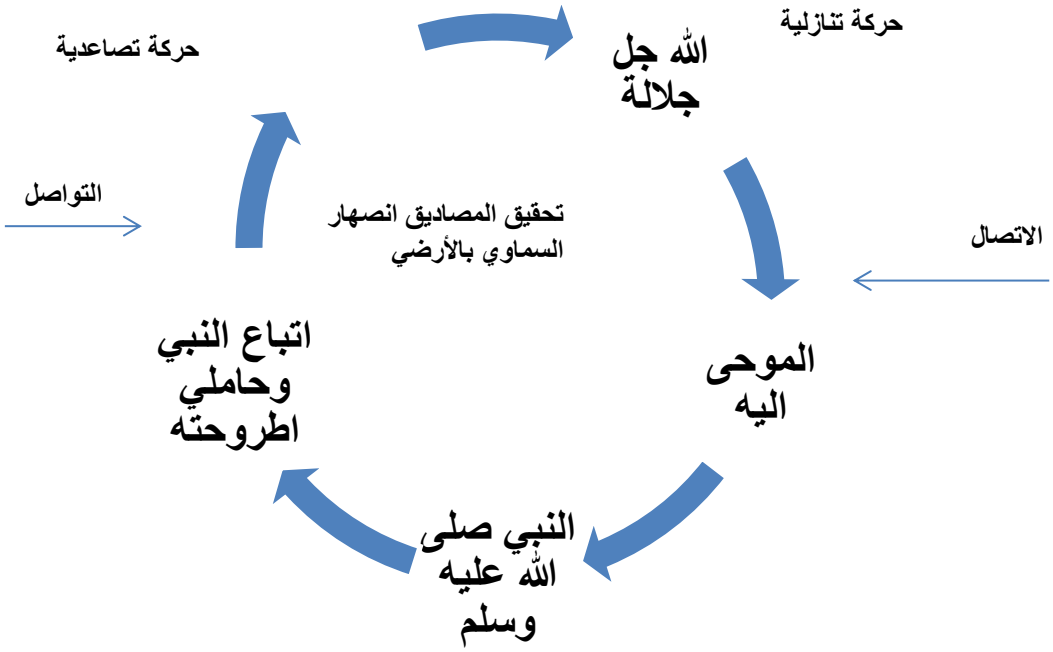

نلحظ أن الإشكالية الأولى قد هونت ، لكن سرعان ما برزت إشكاليات وبؤر تمثل جوهر الإشكال وصور الإعتراض التي تقبع في الفكر المعارض ، لتتحرك بين الرسالة وحاملها (النص القرآني والنبي الأعظم صلوات الله عليه وآله) وعلى الرغم من تتابعهم ، ويشير العرض إلى أن كل مفهوم قائم بذاته إلا أن ثمة رابط خفي بينهما يعمل على تشابكهما في مفهوم واحد غير مجزء عند استحضار أحدهما .

وعند العودة أو الوقوف على التكنيك الإتصالي القناتي نجد أن الإختيار وقع على الشكل السمعي لأنه يمثل القناة الأكثر تداولاً وانتشاراً في الواقع المعاش ، عند نزول الوحي على النبي الأعظم ـ عليه وعلى نبينا وآله أتم الصلوات والتسليم ـ وإذا سلمنا بأن التدوين يكاد يكون معدوماً ، فضلاً عما تسعى إليه هذه القناة السمعية نتيجة للظروف الحافة والمقامية لها من فهم وإفهام واستدعاء الطمأنينة نتيجة القرب وما تحمله لفظة اقرأ والتي حملها الوحي الأمين ، وهي تمثل الأطروحة الأكثر استقراراً وثباتاً ، وسينتج عنها الجوهر الذي سيلج في حوارية يفهم منها الحركة المرجوة في المستقبل لهذه الرسالة الجديدة ، على الرغم من تناول البعض لهذه الحوارية في شكلها السطحي .

إذ رآها البعض كما ينقل النص من خلال القراءة الأولى في رسم صورة المجيء بنمط من ديباج فيه كتاب ، وتنفتح الحوارية بمقولة القول ، قال : اقرأ قلت ما أنا بقارىء وقيل : معنى اقرأ يعني ردد بعدي ما أقوله ، ومعنى ما أنا بقارئ يعني ؛ لم أتعلم القراءة (ينظر : السيوطي ، 1952م : 23 ـ 24 وأبو زيد ، 2011م : 66 ،) وهذا قول قريب ومطابق لما يحمله النص وهي ذات القراءة الإستنساخية والتي تقف عند الحدود ، ولايسعها أن تنال الجوهر ، لأنها تنشد الأمانة في نقل صورة طبق الأصل عن الرسالة المبثوثة (ينظر : الجابري ، 1982م : 11) . وإن ما نسعى إليه هو خلاف ذلك لأننا نؤمن بكل الدلائل الحياتية ، والحجج المبينة في نهج الشخصية المحمدية والتي عاشها قبل البعثة تدل على معرفة تامة مع الآخرين من خلال جوانبه الإقتصادية ، والإجتماعية ، والعقدية ، ومباعداً عن معايب من جايله ، وإن دل على شيء إنما يدل على معرفة قارة .

إذ كان ـ صلوات الله عليه وعلى آله ـ ((يكره كشف العورة قبل البعثة ... وكان يأبى أن يحضر مع قومه العيد الذي كانوا يقيمونه لصنم يقال له (بوّانة) ... ولم يذق شيئاً ذبح على الأصنام حتى أكرمه الله برسالته ... ولم يدخل في يهودية أو نصرانية ... ونهى عن الوأد... ولم يلعب الميسر ، ولم يشرب خمراً قط ، مع أنها كانت منتشرة ...)) (رضا ، 1975م : 38)

هذه جملة من المزايا والفضائل أثبت من خلال الفعل التواصلي مع المجتمع التجاري والإجتماعي وما نقل عنه من روايات على لسان ميسرة لخديجة ، كان سبباً في رغبة منها في عرض نفسها عليه ((فقالت له فيما يزعمون يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك ، وسطتك في قومك وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ...)) (ابن هشام ، 2004 : 1 : 188) فضلاً عن كلمة الأمي والتي تشي في قراءات

معاصرة بدلالة على الناس الذين لا يدينون بدين اليهود والنصارى (ينظر : شحرور ، د . ت : 139) قال تعالى : ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)) (الجمعة : 2)

وكذلك نلحظ من خلال النص الحواري بين السماوي والبشري ، أن ثمة منهج يهيأ للظهور ، ويجب اتباعه والعمل على وفق الأطر التي يحملها والحمولات التي يتبناها ، ألا وهو المنهج الرباني الذي وصف في النص الأول ((أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)) (العلق : 1) واسم ربك هو المنهج الذي لا يشابهه منهج آخر ، لأنه يحمل في طياته المغايرة والتطور والإستمرار في بوح فلسفته ويعمل على استدعاء أدوات القراءة طياً ، قال تعالى : ((ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ...)) (القلم : 1) فبها تكمن العالمية ، والخاتمية ، والتي تبتعد عن المناطقية ، وإن كانت الجزيرة هي مركز الظهور .

نصل إلى نتيجة مفادها مقاطعة ما كان سائداً آنذاك لأنه يحمل في طياته التغيير ، وكسر بنية الرتابة في العقد الاجتماعي والتداول الاقتصادي والجانب العقدي والتعبدي .

لذا كان هذا أس الاعتراض من قبل المعاندين على النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ورسالته معاً وليس بمعزل الواحد عن الآخر ، لذا انهالت الاتهامات بشتى الموصوفات التي تطلبت إنشاء استراتيجيات لرد هذه الأطروحة وحاملها ، من خلال ردهما إلى نصوص مألوفة وقارة في الواقع المعاش منها ؛ ساحر ، وشاعر ، ومجنون ، وذلك لأن ما طرح بدا يهدد النظام والقيم السائدة ، فلا بد من مواجهة لهذه المركزية الجديدة ، قال تعالى : ((وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)) (ص : 4) وتأخذ الرسالة نصيباً من هذا الإتهام ، قال تعالى :((وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)) (الأحقاف : 7)

واستمرت المحاولات واعتملت في التقليل من شأن هذه الأطروحة الجديدة بربطها بوقائع مجتمعية ، ليس من باب أهمية الشعر بل وردت في باب التقليل قال تعالى ((ويَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ)) (الصافات : 36) ويزداد الأمر إصراراً ، قال تعالى : ((بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ)) (الأنبياء : 5)

لكن ثمة إشكالية ستواجهُم في هذا الطرح ألا وهي حمولات المحتوى مغايرة ومفارقة منها ؛ الإبتعاد عن الأقلية كما يحدث في الشعر باقتصاره على المجموعة والقبيلة ، والركون إلى المنظومة الإنسانية الشاملة للنص الجديد ، وتهشيم القيم الراكدة واستبدالها بقيم جديدة مخالفة لما هو سائد من حيث المبدأ الإنساني والاجتماعي ...الخ

لذلك لابد من مواجهة جديدة من خلال استدعاء استراتيجيات عدة وتوحيدها معاً في إيراد حججها ، لكن سرعان ما بدت هذه الاستراتيجيات تتضاد مع بعضها البعض ، كما حدث في تحير الوليد بن المغيرة في وصف هذه الأطروحة وقد ((اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سن بينهم وقد حضر الموسم فقال لهم ! يا معشر قريش ؛ إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذِّب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقول به . قال : بل أنتم فقولوا أسمع ؛ قالوا : نقول كاهن ، قال : لا والله ، ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال: ماهو مجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا : فنقول شاعرٌ ، قال : فما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضة ومبسوطة ، فما هو بالشعر ؛ قالوا : فنقول : ساحرٌ قال : ما هو بساحر ... قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لَجناة)) (ابن هشام ، 2004م :1 : 256 - 257)

ومع إيراد كل الحجج التي أوردها المعاندون إلا أنها لم تصمد أمام الأطروحة السماوية ، مما دعا إلى اشتغال جديد ومغاير قائم على المواجهة ، يتخللها المحاورة والجدل المغالطي على الرغم من وجود معرفة تامة من أحبار اليهود ورهبان النصارى ، (ينظر : ابن هشام ، 2004 م : 1 : 201) بغية الوصول إلى إيجاد مساحة في عقول المترددين لتمرير أطروحتهم عبر الاتكاء على آلية السؤال ، والتي تكون به حركة ومساحة للعقل الإنساني وتصوراته البشرية وأسه البايولوجي ، وعلى الرغم من سطحيتها لكنهم أرادوا بذلك أن يهشموا الواحدية التي التصقت بالذات الإلهية ، ويجعلون من الذات الواحدة إلى متعددة متناسلة جراء مقولتهم ((انسب لنا ربك)) (الطباطبائي ، 1997م :

20 : 451) وجاء الرد على كل هذا التبني من خلال الرسالة التي بثت إلى النبي الأعظم " صلى الله عليه وآله " قال تعالى : ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)) (الإخلاص : 1 - 4)

ومع كل هذا لم تتوقف الرسالة وحركتها واستمرار تواصلها مع الآخر ، قال تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) (الأنبياء : 107) وكذلك في حركة متضادة تعكس في واجهة بشرى وفي أخرى نذير ، قال تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...)) (سبأ : 28) ناسخاً بشريعته الشرائع السابقة .

ومع كل ذلك تواجهنا مشكلة في الواقع المعاش تنافي المصاديق ، لأن الواقع يقرها وهي لازمة من لوازم بعض الكتب السماوية بأن ثمة من يعتقد بالأطروحة المتضادة لفلسفة التوحيد قال تعالى : ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)) (التوبة : 30)

إذ نجد هذا النص يشي لنا بأن التوحيد الشمولي والكلي لم يكتمل ، لأن ثمة فكر متجذر يقر ببنوة وأبوة الذات الإلهية ، وهذا بلا شك بنافي الواحدية والصمدية ، اللتان صورهما النص القرآني ، وبما أنه يحمل حمولات الخاتمية ، فلابد من الالتحاق والإنصهار بتلك البنية المفهومية التوحيدية ، من خلال هدم الأطروحات المنافية ، والإتكاء على آلية البلاغ التي تقع على عاتق النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قال تعالى : ((فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)) (النحل : 82) والرسالة المبثوثة من خلال الأسلوب الأمري قل وتحول هذه الصيغة الأمرية الصوتية التي تلاك على اللسان ، والتي تتطلب مستمعاً او متلقياً ، نلمح منه أن المؤشر القصدي يمدنا بمعلومات مغايرة عما يحمله المعارض ،غايته ترسيخ محتوى الأطروحة في حمولات المتلقي من خلال الإتكاء على سنن لغوية ، (ينظر : بويسنس ، 2017م : 10) فتكون هذه السنن عبارة عن متوالية نقلية من المرسل ـ الله جل جلاله ـ إلى النبي الأعظم ـ صلوات الله عليه وآله ـ ومن ثم تتحول من النبي إلى من يقع عليه حمل هذه الأطروحة ، وتبقى هذه السنن المبثوثة في دينامية وحركة مستمرة ليتسنى للآخر بلفظها وقبولها والتصديق بها والحمل على اعتناقها ، فكل واحد منا يستدعيها في القراءة على لسانه غايته نقل المحتوى إلى متلقٍ افتراضي ، بعض الأتباع الذين تقع عليهم مهمة الترديد من أتباع النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ إذ تفتح لهم دعوة أخرى بصيغة أمرية لكل متلقٍ ، وربما يعارض أحد المتلقين بقبول هذه الفلسفة أو الفكرة الاعتقادية لأن من يقولها ليس من مهامه حمل هذه المقولة ، لذا يترتب على هذا الأمر تصحيح المنهج الذي نروم الوصول إليه لمعرفة من يحمل هذا المنهج !! هل هي السنة النبوية التي تعرَّف بأنها تلك الآثار المباركة التي تركها النبي ـ صلوات الله عليه وآله ـ ؟ أم شخص له امتداد مع النبي ـ صلوات الله عليه وآله ـ يحمل هذا الأفق الإسترجاعي والإستشرافي لهذه المهمه ؟

فإذا كانت السنّة المباركة فثمة قراءات متعددة بتعدد الفرق المختلفة مع بعضها البعض ، أما إذا كان الأمر يناط بشخص ذي معرفة وهيئة مباشرة مع النبوة ، ويعد الإمتداد الطبيعي لهذا الأمر يكون الأمر مختلفاً جداً ، قال تعالى : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ..)) (النور : 55) من باب أن آلية المشاركة يراد لها المواجهة ، والمكاشفة ، والوقوف على إعتراضات المعاندين من خلال الحوارية القائمة على الحجة ، ومشهدية الزمان والمكان .

لذا نعتقد بأن ما جاء بنص خطبة النبي الأعظم ـ صلى الله عليه وآله ـ في حجة الوداع : ((فلا ترجعنَّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله !! ألا هل بلَّغت !؟ اللهم اشهد)) (الجاحظ ، 2010م : 2 : 20)

وهو نص غير قابل للتحقق ، ويؤيد هذا الإعتقاد ما يصوره الواقعُ المعاش من ويلات في فهمٍ متواضع وسطحي على وفق أهواء ورغبات ومؤسسات تسعى في حركة محدودة في رؤيتها الضيقة ، مع وجود اللازمة مع أية حجة يرددها النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ في خطبته ((ألا هل بلغت اللهم فاشهد)) إن دل على شيء إنما يدل على بلوغ الخبر إليك (المتلقي) من دون التسليم برواية ما ، لذا يوجب على الجميع الإلتزام بما بلَّغ به النبي صلوات الله عليه ، من دون التحري والتأكد بأن شخصاً ما لم يصله الخبر.(شحرور،د.ت : 148)

إذن ما قام به النبي من بلاغ واتصال لم يقوِّض أطروحة المعاندين ، ويوقف ادعاءهم في نسبة الرب ، واتكاء المتن القرآني على النتيجة الالهية قل في مقدمة الرسالة ، ومن ثم توالي الحجج المهشمة للمواقف لم يثنِ ظلمهم وتمسكهم بهذا الظلم .

إذ لابد من المشاركة مع الآخر في حوارية لا مناص منها ، فمن يقوم بهذا الفعل التواصلي ؟ هل يوكل الأمر إلى الموجود البشري الذي ينتمي إلى الرسالة المحمدية ؟

إن مصاديق الواقع تشي بفشل تواصل الموجود البشري منذ إلتحاق النبي ـ صلوات الله عليه وآله ـ بالرفيق الأعلى ، وقد بات الأمر على ما هو عليه مع وجود الأطروحة المعارضة ، لذا يتطلب الأمر إقامة ومد جسور الحوار مع من هو وارث علم النبوة ، وهو جزء لا يتجزأ منها ، ويقع عليه فعل المشاركة كونه يمثل الامتداد الطبيعي والموضوعي بعد غياب النبي محمد ـ صلوات الله عليه وآله ـ من خلال المواءمة والإنصهار بين النبوة والإمامة في حركة تدفقية ليعود الفعل التواصلي البشري الإمامي في رفض كل المخالفات التي تعارض المنهج السماوي ، وبسط العدل .

الاستنتاجات:

- استطاعت الدراسة ان تحدد مسار كل من تقنيتي الإتصال والتواصل واشتغال كل واحد منهما بمعزل عن الآخر، وبالتالي اندماجهما معاً .
- اتكأت الدراسة في متنها على الكتاب المقدس الذي انزل على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)ونجد ان هذا المتن يحمل في طياته شفرات متعددة وعلى القارئ المنتج أن يعمل على فك تلك الشفرات أو التقرب منها ، لان فيها يكمن العالم المرجو.
- توصلت الدراسة إلى ان الموجود البشري، يقع على عاتقه مهمة كبيرة ، ودور واسع ، في خلق مجتمعات يسودها الحوار ، وقبول الآخر ، وهو أس الخلافة الربانية التي منحت إلى هذا الموجود.
- تناشد الدراسة الموجود المحمدي ، الذي يؤمن بأطروحات نبيه (صلى الله عليه وآله) ان يهيأ الأرضية المناسبة لبروز الامتداد الطبيعي والمفارق في الاشتغال والذي تقع عليه مهمة إقناع الخصوم .
- ثمة دعوة تسعى اليها الدراسة بتخلي الآخر عن الأنا وهيمنة الذات التي تتبنى أطروحات قريبة ومحاطة بايدلوجيا زائفة لمصلحة الحجج المشتركة وترك العنان للعقل .

المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ط ١، ٢٠٠٩م) المقدمة ، دار ابن الجوزي للطبع والنشر ، القاهرة.
٣- ابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين بن مكرم(ط٤ ، ٢٠٠٥م) لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان.
٤- هشام ، ابن (ط٤، ٢٠٠٤م) السيرة النبوية، حققها وطبعها وشرح ووضع فهارسها مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة بيروت- لبنان.
٥- ابو زيد ، نصر حامد (ط١، ٢٠١١م) مفهوم النص دراسة في مفهوم القرآن ، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع ، المغرب.
٦- بارت ، رولان(ط١-٢٠١١م) قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، ترجمة عمر اوكان ، رؤية للنشر والتوزيع.
٧- بويسنس، ايريك (ط ١ ، ٢٠١٧) السميو لوجياوالتواصل ترجمة وتقديم جواد بنيس، رؤية للنشر والتوزيع.
٨- الجابري ، محمد عابد (ط١، ٢٠١١م) الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية ، دار الطليعة مركز الدراسات المربية، بيروت - لبنان .
٩- الجاحظ ، عمرو بن بحر (ط١ ، ٢٠١٠م) البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع - القاهرة.
١٠- ديليو ، فضيل (د، ط ـ ١٩٩٨م) مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيري، ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر.
١١- رضا ، محمد (د-ط ، ١٩٧٥م) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان.

١٢- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله(ط٣ ، ١٩٧٧م) البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان.
١٣- السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين (د- ط ١٩٥٢م) الاتقان في علوم القرآن ، مطبعة مصطفى الحلبي- القاهرة.
١٤- شحرور ، محمد (د-ط، د- ط) الكتاب والقرآن رؤية جديدة (قراءة معاصرة) الاهالي للطباعة والنشر ، دمشق - سوريا.
١٥- طاليس ، ارسطو(د-ط ، ١٩٥٩م) فن الخطابة ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.
١٦- الطباطبائي، السيد محمد حسين (ط١، ١٩٩٧م) الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان .
١٧- العبد ، محمد (ط١، ٢٠٠٧م) العبارة والاشارة دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الاداب - القاهرة.
١٨- علوي ، محمد اسماعيل (ط١ ، ٢٠١٣م) التواصل الانساني دراسة لسانية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع عمان- الاردن .
١٩- قيس ، ميمون بن (د، ط - د ،ت) ديوان الاعشى ، شرح وتحقيق د. محمد حسين ، مكتبة الاداب بالجماميز ، المطبعة النموذجية - القاهرة.
٢٠- المنذري ، زكي الدين عبد العظيم (د- ط، ١٣٨٩هـ) مختصر صحيح مسلم ، تحقيق ناصر الدين الالباني ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية - الكويت.

Sources

[1] The Holy Quran.
[2] Ibn Khaldun, Abd al-Rahman bin Muhammad (I 1, 2009 AD) Introduction, Dar Ibn al-Jawzi for printing and publishing, Cairo.
[3] Ibn Manzur, Abi Al-Fadl Jamal Al-Din Bin Makram (4th Edition, 2005 AD) Lisan Al-Arab, Dar Sader, Beirut - Lebanon.
[4] Hisham, Ibn (I 4, 2004 AD) The Biography of the Prophet, verified, printed, explained and cataloged by Mustafa Al-Sakka, Ibrahim Al-Ibari and Abdel Hafeez Shalabi, Dar Al-Maarifa, Beirut - Lebanon.
[5] Abu Zaid, Nasr Hamid (I 1, 2011 AD) The Concept of the Text, A Study in the Concept of the Qur'an, Believers Without Borders for Publishing and Distribution, Morocco.
[6] Barthes, Roland (1-2011 AD), a new reading of the old rhetoric, translated by Omar Okan, a vision for publishing and distribution.
[7] Boynes, Eric (I 1, 2017) Semio Logia and Communication, translated and presented by Jawad Bennis, Vision for Publishing and Distribution.
[8] Al-Jabri, Muhammad Abed (I 1, 2011 AD) Contemporary Arab Discourse, an analytical and critical study, Dar Al-Tali'a, Center for Education Studies, Beirut - Lebanon.
[9] Al-Jahiz, Amr bin Bahr (I 1, 2010 AD) Al-Bayan wa Al-Tabeen, investigation and explanation by Abdel Salam Haroun, Ibn Sina Library for Publishing and Distribution - Cairo.
[10] Delio, Fadil (d., i - 1998 AD) Introduction to the means of mass communication, Diwan of University Publications - Algeria.

[11] Reda, Muhammad (D-I, 1975 AD) Muhammad is the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon.

[12] Al-Zarkashi, Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah (3rd ed., 1977 AD) Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an, Dar Al-Maarifa for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon.

[13] Al-Suyuti, Abd al-Rahman Jalal al-Din (d - 1952 AD) mastery in the sciences of the Qur'an, Mustafa al-Halabi Press - Cairo.

[14] Shahrour, Muhammad (D-i, d-i) The Book and the Qur'an A New Vision (Contemporary Reading) Al-Ahly for Printing and Publishing, Damascus - Syria.

[15] Thales, Aristotle (D-I, 1959 AD) The Art of Rhetoric, investigated by Abdel Rahman Badawi, The Egyptian Renaissance Library - Cairo.

[16] Al-Tabataba'i, Sayyid Muhammad Husayn (I 1, 1997 AD) The Balance in the Interpretation of the Qur'an, Al-Alamy Foundation for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon.

[17] Al-Abd, Muhammad (I 1, 2007 AD) Phrase and Signaling, A Study in Communication Theory, Library of Arts - Cairo.

[18] Alawi, Muhammad Ismail (1st Edition, 2013 AD) Human Communication, A Linguistic Study, Dar Kunouz Al Maarifa Al Scientifia for Publishing and Distribution, Amman - Jordan.

[19] Qais, Maymoon Bin (D, T-D, T) Diwan Al-Asha, explanation and investigation by Dr. Muhammad Hussein, Library of Arts in Jamamis, Typical Printing Press - Cairo.

[20] Al-Mandhari, Zaki Al-Din Abdul-Azim (D-T, 1389 AH) a summary of Sahih Muslim, investigated by Nasser Al-Din Al-Albani, Ministry of Endowments and Islamic Affairs - Kuwait.